الخاتمة

لم يأخذ شعر ابن شهاب في مجمله حقه من البحث المنهجي الذي يكشف سماته وخصائصه العامة، وقد سعى هذا البحث إلى دراسة شعره متخذًا منحى تطبيقيا في تحليله لأهم الظواهر الموضوعية والفنية فيه.

إن شخصية ابن شهاب الفذة والموسوعية قد مثلت عصرها وبيئتها أحسن تمثيل، فجاء شعره صورة صادقة وحية لكل ما يحيط به دون الانقطاع عن ماضيه وأصالته وتراثه، لذلك هيمنت عليه الموضوعات والأغراض التقليدية أساسا قامت عليه تجربته الشعرية التي خلصت الشعر من الضعف والركاكة والصنعة، وأعادت له ديباجته ورصانته وصفاءه، فكان بحق رائد النهضة في اليمن في العصر الحديث.

لقد جاء الفصل الأول من هذه الدراسة كاشفا لخصوصيات البنية الموضوعية في شعر ابن شهاب والتي شغلتها اتجاهات ثلاثة: أولها الأغراض والموضوعات التقليدية التي اتجهت للموروث الشعري بوصفه الأساس الذي أقام عليه الشاعر تجربته فأعاد إليها روحها التي فقدتها في عصر الانحطاط، ساعيا إلى تخليصها من تلك القوالب المعقدة التي تتكلف المعاني، فجاءت تمثل مرحلتها التي ظهرت فيها والعصر الذي كان يشهد حركة انتقال من فترة الركود والجمود والتأخر إلى البعث والإحياء. ولئن أخرج ابن شهاب شعره في قالب تقليدي متأثرًا بالشاعر العربي القديم محاكيًا ومقلدًا له فإن ذلك لا يغض من منزلته وشاعريته فالتقليد ظاهرة طبيعية في كل عصر مهما كثرت فيها مظاهر التجديد والجديد، لأن الشاعر الإحيائي رأى أن من واجبه إحياء تلك الأغراض والقيم وبعثها من جديد لتكون الجسر الذي يمر من خلاله إلى التجديد. ولقد غلبت تلك الأغراض على شعر ابن شهاب

حتى أننا نجدها وقد أخذت حيزًا كبيرًا يتقدمها غرض المديح ثم الغزل والرثاء والهجاء والحماسة وتلك هي أغراض الشعر الرئيسة. ولكن ما يلاحظ على موضوعاته أن الوصف لم يأخذ حيزًا كبيرًا عنده وهو نتيجة لتكوينه الثقافي الذي يغلب عليه الفقه والتزامه ببعض قيم ذلك العصر. لكن هذه الإغراق في التقليدية عنده يتنازعه اتجاهان يشمل أحدهما: الموضوعات المعاصرة للشاعر والتي تمثل حالة النزوع نحو الخروج من تأثير الموروث وهي وإن كان بعضها قديمًا إلا أنها لازالت حيّه في عصره، كموقفه من آل البيت والصوفية والمرأة وبعض القضايا الأخرى كالوحدة الإسلامية وما تركته الحرب العالمية الأولى من آثار ودمار، وثانيهما ما احتواه شعره من ذاتية تتمثل في تلك اللمحات التي تعكس تجربته الشعرية المعبرة عنه منفردة أو مع المجموع، وهي تبرز أيضًا في مجموع شعره باتجاهاته إذ نجد فيه سمات تشدنا لقراءته معبرة عن الشاعر وهي مما لا نكاد نجدها في شعر من سبقه لأنها دالة على ذاته وشخصيته وثقافته.

إن في شعر ابن شهاب رجوعًا إلى الموروث الشعري القديم بوصفه مصدرًا رفد التجربة الشعرية فجاء بناء القصيدة موضوعيًا متوافقًا مع القدماء مع نزوع إلى الخروج على ذلك النمط ومحاولة الانفراد في إبراز شخصيته وذاته وتجربته، مستوعبًا بعض ملامح التجديد التي نراها مبثوثة في شعره، وهو ما يعلن عن إبداع وتجديد في النفس العام يوحي بخصوصيته الدالة على ذاته، ليعطينا دلالة قاطعة على ريادة ابن شهاب الشعرية في اليمن ودوره في احياء الشعر القديم موضوعيًا، وأثره في الشعراء الذين جاؤوا من بعده.

لقد درسنا في الفصل الثاني البنية الفنية التي شغلها المعجم والصورة الفنية والإيقاع وجاءت متواصلة مع الموروث، وتراوحت بين التقليد والتجديد لذلك نجده يتوسل دقة العبارة وسلاسة الأسلوب وصدق العاطفة، ليسم شعره بغنائية شفافة جعلته صالحًا للغناء. ولقد كانت أهم الحقول الدلالية التي مثلت معجمه تخدم الأغراض التي طرقها. أما الصورة الفنية فتراوحت بين البساطة والتركيب إلا أنها في أغلبها تميل إلى الوضوح والشرح والتقرير والتعليل وهي وظيفتها في التراث البلاغي. بينما التزم في الإيقاع الأبحر الطويلة، والقوافي الجهيرة وإعطاء إيقاعه الداخلي حركة وتنوعًا، غير أن هناك انزياحًا في البنية الفنية في شعر ابن شهاب نحو الاستقلالية والتفرد وهو ما نجده في تدويره لبحر الكامل واعتماده تشكيلات إيقاعية في نصوصه مما يعطيها حركة تشد قارئ شعره وتثير ذائقته.

إن سمات شعر ابن شهاب وخصائصه موضوعيًا وفنيًا إنما هي انعكاس لتلك المرحلة التي شهدت منجز الشاعر الإحيائي الذي أقام تجربته الشعرية على تراثه القديم، فكان له دوره الذي أعطاه الريادة وهو ما تمثله ابن شهاب وانتمى إليه.